

الخطبة رقم ١٠

الاحتكام إلى القرآن وشمول الشريعة

الخطبة الأولى والخطبة الثانية التابعة لها

من كتاب خطب الحمد والثناء

الحمد لله الذي هدانا لطاعته ورضاه وأتم علينا نعمه رفع عنا سوء
بلواه أحمدته تعالى وأشكره وأستزيده من فضله واستغفره ..

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .. وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ..

أما بعد أيها الناس : يقول الله تعالى : (أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ
عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) ويقول تعالى : (وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً * إِنَّا سَنُلْقِي
عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) إن من آداب قراءة القرآن التدبر لمعانيه والتفقه
لأحكامه والاستزادة من علومه الجمّة ومعارفه الغزيرة ، فهو
كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
عليم ، أنزله الله شريعة يهتدي به إلى إحلال الأمن والسلام
والتعبد بحياة المسلم ، أنزله الله نظاماً لا ارتباك فيه ولا حيدة عن
الحق ، صراطاً مستقيماً عدلاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

نؤمن بهذا كله إيماناً لا يشوبه تكدير المضللين ودعايات
المغرضين ممن يتجنى على أحكام الله وشرعه ويلصق به ما هو
منه براء ، أولئك أهل النفاق الذين في الدرك الأسفل من النار ،

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا) .

وشرف به أهل الجاهلية والمعتزين برميم الآباء (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا^٤ أُولَئِكَ كَانُوا لَیَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ) ، ولا يصح أن نطلق الإيمان على فرد أو جماعة ما لم تنزل على حكم الله تعالى وتطمئن إليه ، ويعتقدون أنه الحق الذي لا مرأى فيه ولا جدال (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

أيها المسلمون : إن من أحكام الله وتشريعه ما يدعى بالضروريات الخمس وهي: حماية الدين والنفس والمال والعقل والنسب والعرض ، ولأهمية هذه الخمس وخطورتها في المجتمع جاءت أحكام الله تعالى فيها صارمة يعبر عنها بالحدود حتى لا يتمكن العابثون بمقومات الأمن والسلام من مقاصدهم الخسيسة في إحلال الفوضى والقلق ، فالنفس أعز ما يمتلكه المرء ولن يساويها سوى نفس مثلها (وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ) وحفظ المال أمر يستلزمه طمأنينة النفس وراحة البال

والأمن من الاعتداء ، فدم المسلم حرام وماله حرام ولا يحل ماله إلا بطيبة نفس منه ، ومتى خانت الأيدي وامتدت للسرقة فعقوبتها قطعها وتطهير المجتمع من تسرب عدوى الخيانة والأذى . قال تعالى (**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءَ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) . والضرورة الثالثة لتماسك المجتمع حفظ العقل الذي أنعم الله به على الإنسان ليسير في ركب حياة أفضل ويتميز به عن سائر الحيوانات، فإذا تسبب في إزالة عقله بالسكر فجزاؤه الجلد ثمانون جلدة ، (**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**) إنه لا فلاح لمن لا عقل له ، فاعقلوا عن الله أحكامه لعلمكم تفلحون .

ولحفظ الأنساب ضرورة كبرى في تماسك البيوت والأسر وضبط الموارد والأنساب ، فمن أراد أن يخل بهذا التنظيم التشريعي السماوي بارتكاب جريمة الزنا، فإن عليه الحد ، إن كان ثيباً الرجم بالحجارة حتى يموت ، وإن كان بكاراً جلد مائة جلدة ، وتغريب عام . وجريمة الزنا وخيمة تشمئز منها النفوس الحرة ، وتأبأها الطبائع الكريمة (**الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**)

ثم إن الحفاظ على الأعراض أمر يستلزمه شرف الإنسان ، وعفة
الأعراض وطهارة الذيل ، فمن قذف أحداً بالزنا فقد ارتكب
جريمة الإفك المحرم ، وعليه الحد ثمانون جلدة ، قال تعالى: (نَ
الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

وهذه هي الضروريات الخمس لكل مجتمع يطلب الأمن وحفظ
النفس وحفظ المال وحفظ العقل وحفظ النسب وحفظ العرض ،
وهذه أحكام الله تعالى فيها وحدوده التي شرعها ، فهل آمن الناس
بها .

أيها الناس : تختلف أنظمة الأحكام تضطرب مقاييس العدل لدى
القوانين الوضعية والنظم البشرية كنتيجة حتمية للنقص البشري
وجعله بالحياة ، لا شيء غير الإسلام يسدل وارفاً الأمن ويضمن
للحياة سعادة النعمة والرضى بحكم الله ودينه .

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا ويقينا شر أنفسنا ، (هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۚ فَأَمَّا
الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ
تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ

كُلِّ مَنْ عِنْدَ رَبَّنَا^٥ وَمَا يَدَّكُرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ، ربنا لا تزرغ قلوبنا بعد
إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة ، إن أنت الوهاب ، ربنا إنك
جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، إن الله لا يخلف الميعاد) اللهم
وفقنا لصالح الأعمال ، وأرضى عنا يا رحمن . اللهم خذ
بنواصينا إلى طاعتك ولا تضلنا بعد إذ هديتنا ، اللهم أجعل ما
أوليتنا قوة لنا على طاعتك ، اللهم ألطف بالأمة الإسلامية واجمع
كلمتهم على الحق وأهدهم سواء السبيل ، اللهم أقم علم الجهاد
وادحر الصليبية والصهيونية وأهل الزيغ والإلحاد ، ربنا تقبل منا
إنك أنت السميع العليم ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

الحمد لله الظاهر والباطن والأول والآخر ، لا يخفى عليه شيء
في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، أحمدده تعالى
وأشكره وأتوب إليه واستغفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك
له ذو الجلال والإكرام، مالك الملك العزيز الرحمن .. وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله الهادي إلى سواء السبيل صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه وسلم .

أيها الناس : قد يجد المسلم من نفسه الحرج عند رؤية تدفق الزينة
وكماليات الحضارة في المجتمع الإسلامي وتسابق الناس للأخذ
بها واستخدامها وهو يتلو قوله تعالى: (أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ
الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ
تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) والخبر عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما أكل رطباً وشرب بارداً تحت
ظل الشجرة تلا قوله تعالى: (ثُمَّ لُتْسَالَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) ، إنه لا
حرج على الإنسان أن يتمتع من الطيبات بقدر الاحتياج مع
إردافها بالشكر والإعراب ظاهرياً . (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ) .
ويحرم الإسراف وكفر النعمة والبطر واستعمالها في غير وجهها
الشرعي (يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا
وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي
أُخْرِجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، قل هي
للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات
لقوم يعلمون) . وفي الأثر الشريف ، إن الله إذا أنعم على عبد
أحب أن يرى أثر نعمته عليه ، فهل الشكر إلا من ظواهر النعمة
والحمد من لوازمها ، فاشكروا الله على ما أولاكم واحمدوه على

ما أعطاكم ، أن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين
آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً .